

الفصل الثالث

الغزو التربوي للعالم الاسلامي

● توطئة :

في أكثر من مكان تعرضنا لحديث الغزو الفكري للعالم الاسلامي (١) واستطعنا بفضل الله أن نشبت أن غزو الفكر والعقيدة كان بديل غزو الأرض والتراب ..

وقلنا ان المسلمين غفلوا عن الغزو الجديد في حين افتبهوا للغزو القديم :-

وقلنا ان الغزو الجديد أخطر من القديم لأنه استهدف ما هو أعز وأكرم على الله وعلينا من الأرض والتراب ، ولأنه لا يوقظ النوام ولا ينبه الغافلين ، وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين !

ونعرض بمشيئة الله لأدوار هذا الغزو .. ثم نعرض لميادينه التي يمارسها الآن .

(١) كتاب « الغزو الفكري للعالم الاسلامي » بالاشتراك -
« حاصر العالم الاسلامي » للمؤلف، كتاب « التخطيط للدعوة الاسلامية »
للمؤلف ، « الاتجاهات الفكرية المعاصرة » للمؤلف .

أولا : أدوار الغزو الفكرى للعالم الاسلامى

مر الغزو الفكرى - كما بينا فى أكثر من مكان (٢) - بأدوار ثلاثة :
أما الأول - فكان يدعو صراحة الى تنصير المسلمين .

وكان يعتبر هذا الهدف بديلا كافيا عن هزيمته فى الحروب الصليبية ، ولقد كانت وصية لويس التاسع ملك فرنسا الذى أسر فى دار ابن لقمان فى المنصورة اثر هزيمة الحملة الصليبية على مصر - كانت هذه الوصية أساسا لسياسة طويلة المدى ، حلت فيه الكلمة محل القذيفة، والمدرسة والارسالية محل جيش الاحتلال، وعمدت الدول الصليبية المتعصبة الى دعم الغزو الجديد تناسيا ، وأحيانا لجأت الى قوة الاحتلال متساندة للغزو الجديد (٢) .

ونجح الغزو الجديد فى بعض المناطق ، وأغرى الغزاة بالتوسع والاستمرار .

وفشل فى مناطق أخرى ودعا الغزاة للبحث عن البديل .

(٢) المراجع السابقة - والمراجع المشار اليها فيها .

(٣) راجع الاتجاهات الفكرية المعاصرة للمؤلف - وراجع «أقوال» للمبشر لورنس براون ، وقد عالج بعضهم المسألة الاسلامية تحت عنوان « المصيبة الاسلامية » - وقول بعضهم : « لابد للشجرة أن يقطعها أحد أبنائها » .

بيد أن فشله في تحقيق « هدف التنصير » كان أكثر من نجاحه .
وفي بعض المواقف جرى تقويم لسياسة التنصير ، فأثبتت
الأرقام أن آلاف المبشرين مؤيدين بملايين النفوذ ، فضلا عن النفوذ
السياسي . . لم ينجحوا الا مع أرقام تعد بالآحاد ولا تقاير العشرات .
وأن بحث حالات تلك العشرات أفسر عن أن أكثرها كان لقيطا
عاش في الملاجئ ، ووجد في الدين الجديد « حضنة » افتقدتها
في طفولته وصباه ، ومن ثم أتجه الى الدين الجديد ، فضلا عن
أن عددا آخر دفعتهم المصالح الدنيوية الى اعتناق الدين الجديد
ليجد عن طريقه المنصب والمال والعمل ! . . وبدأ التفكير في
البديل الجديد .



المرحلة الثانية - « زويمر » يقترح البديل :

وفي مؤتمر مشؤوم انعقد بالعاصمة المقدسة « القدس » . . دعا فيه
زعيم المبشرين الى البديل الجديد وكان من بين ما قال تبريرا لهذا
البديل وتغطية للفشل الذي منوا به في المرحلة الأولى :

« أيها الاخوان الأبطال والزلاء الذين كتب لهم الجهاد في سبيل
المسيحية واستعمارها لبلاد الاسلام ، فأحاطكم عناية الرب بالتوفيق
الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن أداء
ووفقتم لها أسمى توفيق ، وإن كان ليخيل الى أنه مع اتمامكم العمل
على أكمل الوجوه لم يقطن بعضكم الى الغاية الاساسية منه . .
اننى أترككم على أن الذين دخلوا في حظيرة المسيحية لم يكونوا
مسلمين حقيقيين . . . »

ولكن مهمة التبشير ... ليست هي ادخال المسلمين في المسيحية ... وانما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ... » (٤) •

وبدأت مرحلة جديدة ... يكتفى فيها بإخراج المسلم من دينه دون أن يدخل دينا آخر :

لقد كان دخول المسلم دينا آخر .. أمرا يثير العصبية داخل نفس المسلم ، ثم داخل نفوس أهله وإخوانه وجيرانه ومحبيه - أما في البديل الجديد فانه يكتفى بالثقب الأول من العملية : خروج المسلم من دينه ويعدل عن دخوله الدين الجديد •

.. ليس لأن في ذلك تشريفا له وتكريما - كما كذب « زويمر » - ولكن لصعوبة الخطوة الثانية من جانب ، ولما تؤدي اليه من ردود فعل كثيرة من جانب آخر •

فهل نجح البديل الجديد ؟

قد يبدو من وجهة نظر أنه لم ينجح لأنه لم يصف شيئا الى دين النصراني •

لكنه من وجهة نظر أخرى نجح اذ فصل بين المسلم وبين دينه ، ومن جهل شيئا عاداه ••

هذا من جهة ، ثم من جهة أخرى فقد أمن النصراني « شر » ، واحد من المسلمين •

(٤) الاتجاهات الفكرية المعاصرة (للمؤلف - تحت الطبع)

فهو ان لم يسجل في ايجابيات النصارى بانضمامه ، فهو مسجن
في سلبيات المسلمين بأنفساله !

وبقيت تجربة البديل الجديد ...

حتى وجد أن خروج المسلم من دينه تماماً أمر صعب .

فالمسلمون فطروا على الوفاء ، فمن الصعب أن يقبلوا الداعية
الى خروجهم من دينهم ومن ثم كان البديل في طور ثالث أو مرحلة
ثالثة .



**المرحلة الثالثة - ابعاد المسلم عن دينه : التغريب ، التحديث ،
التغيير الاجتماعى :**

هذه هى المرحلة التى نعيشها الآن .

وهى المرحلة التى تغطى فيها « الشعارات » حقائق السياسات .
أو تتم فيها الحرب بايد تعطيها قفزات الخريز ... فتبدو لبقة
ديبلوماسية رقيقة !

ومن ثم حلت عبارات : التغريب ، التحضر ، التمدن ، التحديث ،
التغيير الاجتماعى ...

حلت هذه العبارات محل اخراج المسلم من دينه ، أو ابعاده
عن ذلك الدين !

وشهدت الخمسينات من القرن العشرين هذا التغيير .

وتبدت العبارات الأولى على السنة الانجليز ، والعبارات
الثانية على السنة الأمريكان .

وصحب ذلك التغيير تغيير في القوى السياسية ٠٠٠ وكثرت
الانقلابات العسكرية، اتحل الجيوش الوطنية محل الجيوش الأجنبية
في حراسة المكاسب الاجتماعية الجديدة .

وكان هناك أكثر من ميدان خاضته القوى السياسية خدمة
لأغراض التبشير اللعين ٠٠٠ لكن هل معنى ذلك أن التخصير قد
كف عن جهوده في العالم الاسلامى ؟

نقول بعون الله : انه وان اعتبر الخطة الأخيرة خطة عامة لكنه
لايزال اغراء الكسب لدينه قائما ، وقد نجح في مناطق للأسف : ففي
أندونيسيا - أكبر دولة اسلامية عددا - تم تنصير خمسة ملايين
مسلم حسب تقارير الندوة العالمية للشباب وحسب معلوماتنا تصل
الى عشرة ملايين - وفي افريقيا لايزال يعمل ، وفي أفغانستان
المسلمة يمارسون التبشير وسط المهاجرين !

ثانيا : ميادين الغزو التربوى

● وكان اول هذه الميادين واهدهم ديدان التعليم :

بدأوا فيه بالارساليات (٥) ، وسبقت تلك جيوش الاحتلال

(٥) تأسست الجمعية التبشيرية الكنتية في لندن عام (١٧٩٩)
وكذلك المجلس الأمريكى لمدوبى البعثات التبشيرية ، وتأسست
الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٨٦٥ وكانت تحمل اسم الكلية
السورية الانجيلية .

تمهيدا وتربية لحراس الاحتلال ، أو جاء الاحتلال تمكينا لها وتشبيها
وحماية لها ورعاية .

وانتشرت في العالم الاسلامى المدارس الأجنبية (٦) :

وغشيها أبناء الطبقة الراقية أو « الأرستقراطية » ليكون من
بينهم الحكام والوزراء ، ومديرى الجامعات وأصحاب المناصب الهامة
فى الدولة ، وليتولى هذا الجيش الجديد مهمة اخراج المسلمين من
دينهم ، أو ابعادهم عن الدين ، أو تحديثهم أو تغريبهم وتحضيرهم -
بالعبارات الجديدة ..

وتبع ذلك التدخل فى التعليم الوطنى نفسه (٧) ليسلب منه
القرآن والدين واللغة العربية ، وليبقى ذلك التعليم علمانيا - يخرج
الجيوش من العلمانيين الذين ليسوا بالمسلمين ولا النصارى
ولا اليهود .

(٦) تأسست فى سوريا ثلاث وثلاثون مدرسة أجنبية فى أقل
من عدد تلك السنين ، وفى لبنان ٢٠٠ مدرسة أمريكية فرنسية
انجليزية روسية المانية ايطالية ، وفى مصر ما بين عام (١٨٤٤ -
١٩٤٣) جاءت ٣٣ ارسالية ، أنشأت فى مصر ٣٥ مدرسة فرنسية ،
٢٤ انجليزية ، وما بين (١٨٥٥ - ١٩٥٨) : ٨٤٧١ مدرسة أمريكية
عدا مدرسة البنات الأمريكية (١٨٦٠) ، كلية البنات (١٩٠٦)
والجامعة الأمريكية (١٩١٩) .

(٧) أنور الجندى فى كتاب «الغزو التربوى للعالم الاسلامى» .

وتعدلت مناهج التعليم الوطنى على أساس من ذلك .

كما وضع على رأس واضعى المناهج وموجهى سياسات التعليم من تمت تربيتهم على أيدي اليهود والنصارى ، ووضع بعضهم على قمة التوجيه فى الجامعات ، وقمة التوجيه فى وزارات التعليم رغم أنه أعلن فى أكثر من مؤلف ما اعتبره الكثير من العلماء مرتدا عن الدين مفارقا للجماعة !

وأضفى على هؤلاء الألقاب وأغدقت عليهم المناصب ولم نعد بحاجة الى « دنلوب » فى كل وزارة للتعليم فقد تولى المهمة محمد ، وأحمد ، وطه ، وإبراهيم ! (٨)

● لكن ماذا فعلوا بالتعليم الدينى كالازهر وما شابهه ؟

لئن اكتفوا فى التعليم العادى بتوجيهه وجهة علمانية ، فقد عملوا على تخريب التعليم الدينى بأكثر من وجهة :

- أساءوا الى سمعة أساتذته وطلابه بحملة اعلامية منظمة .
- شارك فيها القتال ، والكاريكاتير ، والنكتة والتمثيلية والمسرحية .
- ووصل الازراء به والازدراء لشأنه أن خف المقبولون على الالتحاق به .

(٨) أنور الجندى فى كتابه « الغزو التربوى للعالم الاسلامى »

جعلوا خريجي الجامعات الدينية من مستوى وظيفي ومادى ،
أدنى من خريجي الجامعات العلمانية مع أن سنى الدراسة فى الأولى
أطول من الثانية مما كان يوجب الوضع العكس .

فمناصب الدولة الهامة - ابتداء من المناصب الدنيا الرفيعة وانتهاء
الى المناصب العليا الرفيعة - لا تتم لخريج جامعة دينية :
فالمحقق والقاضى والضابط والوزير ، ورئيس الدولة ، لا يمكن أن
يكون خريج جامعة دينية باستثناء وزير الأوقاف . . . وهى وزارة
قصد لها أن تكون - بل أن تولد - ميتة !

وراتب خريج الجامعة العلمانية بلغ فى فترة من الفترات ثلاثة
أضعاف خريج الجامعة الدينية ولا يزال التمييز قائما - وإن وحدث
أكثر الكادرات - تحت أسماء أخرى .

أخيرا . . . نفذت الوصية التى نادى بها فى مؤتمر التبشير المنعقد
بالقاهرة (١٩٠٦) بضرورة تطوير الأزهر . . . وتم ذلك بعد خمس
وخمسين عاما على يد أول حاكم مصرى شعبى كما كانت تقول
وسائل الاعلام !

وقبلها بست سنوات ألغيت المحاكم الشرعية فى مصر ، وهى
التي كانت تمثل آخر ميدان لتطبيق الشريعة ، وذلك فى ظل حملة
اعلامية حقيرة مست كرامة رجال الأزهر وخريجيه .

ولا تزال بقايا التعليم الدينى تشكو سوء النهج ، وندرة القدوة
وقلة التشجيع (٩) .

● أما الميدان الثانى فقد كان « الاعلام » :

ولعب الاعلام دورا خطيرا ابتداء من الصحف فى مؤخرة القرن
التاسع عشر ومطلع العشرين ، ومرورا بالاذاعة التى غزت البيوت ،
وانتهاء الى الرأى (١٠) الذى كان أخطر تلك الوسائل ، بما يحمى
من قوة التأثير اذ يمارسه على حاستين فى آن واحد : السمع والبصر
ويتبعهما الفؤاد !

وكانت قمة السخرية ظهور التسجيل المصور « الفيديو » الذى
أفلت من كل رقابة وحمل السم زعانا يمزق القلوب ويمزق البيوت ،
وما يذكر الا أولوا الألباب .

وفى أكثر من مكان تعرضنا للاعلام .. باعتباره يمارس التربية
غير الاسلامية ، ، فى كل بيت مقتحما الأسوار والجدران ، ومشاركاً
للناس فى حركات النوم بل حاجباً لهذا النوم عنهم !
ملهيا لهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، مذكرا لهم بالشيطان بل
ممكنا له بين أحضانهم !

وفى أكثر من صيحة تعالت أصوات المنفذين :

(٩) راجع الرسالة القيمة للأستاذة فتحية الحلوانى - المرجع

السابق .

(١٠) تعريب لجهاز التلفزيون (Television) .

« ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى فيها اعلامنا ،
ولا يزال الى اليوم يتردى .

« فبدلاً من أن يكون منارة اشعاع للحق ، ومنبر دعوة الى
الخير ، صار صوت افساد وسوط عذاب !
وسكت القادة ! فأقروا بسكوتهم ، أو جاوزوا ذلك فشجعوا
وخموا .

« وطفى صوت الفساد على صوت الدعوة الى الله -

« وزلزل الناس في ايمانهم وأخلاقهم ومثلهم .

« ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعوة الى الحق » (١١) -

وفي كل يوم يزداد الاعلام بعدا عن الاسلام واشادة بالقيم غير
الاسلامية ، ويتولى مهمة التربية غير الاسلامية ... بالمقال ،
والكاريكاتير ، والأغنية ، والتمثيلية والمسلسلة ، والقوة السيئة
من المثليين والمثلات الذين أطلقت عليهم ألقاب النجوم والكواكب
ليقتدى بهم الفارغون والفارغات ...

وضمف دور البيت الى جوار دور المدرسة والاعلام .

بل غزيت البيوت في عقر دارها بالتربية الجديدة المخططة من
دعاة جهنم !

(١١) المؤتمر العالمى الأول لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة -
المدينة المنورة ، صفر (١٣٩٦ هـ) .

● أما الميدان الثالث فقد كان « القدوات الجديدة » :

- القدوات الجديدة في مجال الفكر ..
 - القدوات الجديدة في مجال الفن ..
 - القدوات الجديدة في مجال النشاط الاجتماعي ..
 - القدوات الجديدة في مجال النشاط السياسي ..
- إن الجميع - إلا من رحم ربي - قد تعرض للغزو التربوي ،
بل تمت صياغته صياغة غير اسلامية ليكون من دعاة جهنم ...
رغم أنه من جادتنا ويتكلم بلساننا .
الا يتم من خلال ذلك صياغة الجيل صياغة غير اسلامية ؟ !



ثالثا : ردود الفعل للغزو التربوي

- لكن هل بقي هذا الغزو بلا رد فعل ؟ .. قد يكون ذلك هو
البابى !
- خاصة اذا نظرنا الى مجال السلطة فوجدنا فيها من لا يمت
للتربية الاسلامية بصلة .
- وبالأخص اذا نظرنا الى مجال التوجيه الفكرى والاعلامى
والتربوى فوجدنا أكثرهم ينفذون أو يلتزمون المخطط الأثيم .
- لكن النظرة العميقة تعطى غير ذلك .

ان ردود الفعل تعمل في الأعماق وان بدا السطح هادئا غير
منخر بخراب ..

وان النار تسرى تحت الرماد وان بدا الرماد ياردا هادئا لاينذر
باشتعال !

وان سنن الله وقوانينه لا تتخلف مجاملة لأعداء الله ، ولكنها
تُنظر من ينتهقون أن يتنزل عليهم النصر أو أن يتشفروا بحمل
راية لا اله الا الله !

ان جماعات كثيرة نفرت تبشر وتنذر ، وتدعو إلى الله أكثرها
على بصيرة ، وان قصر الجهد وقامت العقبات .

وان اقبالا للناس على تلك الجماعات التزاما بمنهج التربية
الاسلامية الصحيح ، ودعوة الى منابغ الاسلام الناصية .. كذلك
كثير وكثير ..

وانه على دعاة جهنم - في كل مجالاتهم - أن يختاروا : اما أن
يتوبوا ويصلحوا ويعتصموا بالله ويخلصوا دينهم لله فيكونوا
مع الصادقين .. والا فالنار تحت الرماد في الدنيا تنذرهم بحريق ،
ونار جهنم أشد حرا تنذرهم بعذاب جهنم وعذاب الحريق !

بيد أننا نشير الى ردود الفعل غير سليمة أو صحيحة جندت
في مقابل التفريط الواقع في المجتمعات الى افراط في التصور والحكم

فحكمت على الأفراد والمجتمعات بالكفر ، أو سترت الوصف بوصف آخر على ما نشير بمشينة الله تعالى .

ولسنا مع الافراط كما أننا ننكر التفریط وكان بين ذلك قواما هو الوسط الأمثل الذى وصف الله به الأمة الإسلامية ، « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » (١٢) .

* * *

(١٢) البقرة : ١٤٣ .